# وصول العرب والمسلمين إلى قارة أمريكا
# وخرائطهم لها قبل كولمبوس

فؤاد سزكين

- محاضرة ألقيت في القاهرة في ديسمبر ٢٠٠٥م.
- هذه الصيغة تنقص فيها الإشارة إلى المراجع والمصادر، ولعله يمكن للمهتم أن يرجع إلى الصيغة المنشورة بالإنكليزية أو بالألمانية

# وصول العرب والمسلمين إلى قارة أمريكا
# وخرائطهم لها قبل كولمبوس

إن قضية أول الواصلين إلى القارة التي تسمى الآن أمريكا ألف ونشر أول كتاب حولها سنة ١٩٠٢م وتبعتْه أبحاث عديدة طوال القرن العشرين. فليس هناك شك كبير في أن البشر من أمم مختلفة قد وجدوا طريقهم إليها صدفة مراراً. ولا يدخل مثل هذا الوصول الصدفي ولا النقاش حوله موضوع كلامي. فما أخذت على عاتقي أداءه هو عرض ما تبين لي من تاريخ محاولات استهداف العرب والمسلمين أن يصلوا إلى نهاية الأقيانوس الذي كانوا يسمونه باليحر المحيط، وما وصلوا إليه وما عملوا من خرائطه قبل الإسبان والبرتغاليين.

قبل أن أبادر بعروضي الخاصة أرى من الضروري الإشارة إلى كتاب خرج سنة ٢٠٠٢م، مؤلفه كاڤن مَنزيس، ترجمة عنوانه بالعربية : "١٤٢١م كسنة اكتشاف الصين للعالم". إن المؤلف الإنكليزي يقول إن الموضوع أشغله عشر سنين، وعرض بعض النتائج التي وصل إليها على الجمعية الجغرافية الإنكليزية في لندن، وأذيع كلامه على مشاهدي التلفزيون في ٣٦ بلداً في العالم.

إن النقاش الذي يشاهد في شبكة الإنترنت يعطي الانطباع أن الموضوع نال اهتماماً واسعاً، ولم يظلّ دون إثارة الاستغراب والدهشة والرد.

إن أساس القضية يرجع في الواقع إلى أن بعض الحكام الصينيين نظموا أساطيل بين سنة ١٤٠٥م وسنة ١٤٣٣م، وأرسلوها إلى البلدان حول المحيط الهندي لإقامة العلاقات الدبلوماسية معها أو لأخذ الجزيات منها. إن مراحل وتفاصيل تلك الاتصالات والحوادث ونتائجها مذكورة في المصادر الصينية بكل دقة، ولم تبق هذه الحوادث في التواريخ الإسلامية دون ذكر وأثر. والمعروف أيضاً أن القائد الرئيسي كان مسلماً.

إن المؤلف الإنكليزي يصل إلى اليقين بأن نشاطات الأساطيل لم تنحصر على مناطق المحيط الهندي، بل إنها تجاوزته إلى المحيط الأطلسي بمرورها على رأس الرجاء الصالح. ويؤمن المؤلف منزيس أن البحارين الصينيين هم الذين وضعوا الخرائط الكاملة للمحيط الهندي خاصة للقارة الإفريقية، وأنهم وصلوا إلى أمريكا وعملوا خرائطها وخرائط المحيط الأطلسي كله ورجعوا إلى الصين مارين بشمال أوربا وآسيا صانعين خرائطها.

إنه ليس هدفي ولا غرضي أن أخوض هنا في نقاش أدلة وأحكام المؤلف بل أرى أنه لا بد من ذكر السبب الأساسي الذي يشجع المؤلف في تصوره أن الصينيين هم صانعو الخرائط الكاملة التي أخذت تظهر في البينات الخرائطية الأوربية في أوائل القرن السادس عشر الميلادي. (انظر رقم ١)

حينما يجد مَنزيس نفسه أمام كمال خريطة إفريقيا التي يُزعم أنها قد صنعها البرتغاليون سنة ١٥٠٢م، يعبر عن دهشته، بكل حق، ويقول إن صنع هذه الخريطة في منتهى الصحة يستحيل أن يكون قام به البرتغاليون، بصرف النظر عن لزوم وقت طويل لذلك، ولا يمكن صنعُها دون المقدرة على استخراج درجات

رقم ١

الأطوال، وهذا كان غير ممكن عند الأوروبيين قبل القرن الثامن عشر الميلادي. ويزعم أن هذا لم يكن ممكناً عند العرب أيضاً، ويرى أن الصينيين هم وحدهم فقط كانوا قادرين على حساب درجات الأطوال بصحة.

أذكر مثالاً آخر إنه يَعرِف خريطة للعالم منسوبة إلى خرائطيين أوربيين من سنة ١٥٠٧م ويرى فيها تصويراً جيداً إلى حد ما لشمال آسيا مع أنهرها وغيرها ويتعجب من تقارب درجات أطوالها وعروضها من الصحة.
وهو يتيقن من أن الصينيين هم الذين كانوا وحدهم متمكنين من تصوير آسيا في تلك الخريطة أثناء طريقهم إلى بلادهم. (انظر رقم ٢)

إنني أذكر هذين المثالين فقط للإشارة إلى نقطة من أهم نقاط الضعف لتاريخ الخرائط الحديث. إن الزعم الذي وجد حظه من القبول عند المؤرخين في القرن التاسع عشر والعشرين بأن البرتغاليين عملوا خرائط إفريقيا بمجرد ما وصل إليهم ما جاء به فاسكو داجاما من البيانات بعد رجوعه من رحلته الأولى مع أنه مرّ على سواحل ثلاث أو أربع أمكنة على الأكثر ومع أنه لم يخف دهشته من كمال وجمال الخرائط التي رآها عند البحارين العرب. وذلك مع أن البرتغاليين القدماء لم يدّعوا أبداً أنهم صانعو تلك الخرائط بل ذكروا مراراً أنهم أخذوها من بحاري المحيط الهندي. فلهذا لا نتعجب من انفعال المؤلف الإنكليزي وإشارته إلى الواقع أنه من غير الممكن أن يكون البرتغاليون صانعي الخريطة حيث إن عملها يحتاج إلى وقت طويل جداً وإلى معرفة استخراج درجات الأطوال.

رقم ٢

فبالنسبة لنشأة خريطة العالم من سنة ١٥٠٧م فهو محق أيضاً حيث إن مؤرخي الخرائط تساهلوا جداً في قبولهم أن أوربياً اسمه ولدسيمُولَر Waldseemüller لم يخرج من بلده استطاع أن يصنع مثل تلك الخريطة.

إن هناك واقعاً أليماً يسيطر على تاريخ الجغرافيا والكرتوغرافيا وهو أن مرحلة إبداعية استمرت من أوائل القرن الثالث الهجري إلى أواخر القرن التاسع أو العاشر الهجري تحققت في العالم الإسلامي لا زالت مجهولة. ابتدأت هذه المرحلة عندهم بأخذ وتمثل ما وصلت إليه الأمم السالفة، خاصة بمعرفة خريطة مارينوس من النصف الأول للقرن الثاني الميلادي، وترجمة جغرافيا بطلميوس من النصف الثاني لنفس القرن.

إن المسلمين أسسوا الجغرافيا الرياضية كفرع مستقل للعلوم وأوصلوا الجغرافيا البشرية في القرن الرابع الهجري إلى مستوى لا تعرفه أوربا إلا في القرن التاسع عشر الميلادي. إن الخرائط التي صنعوها وطوروها في تلك المرحلة باستمرار أخذت تصل إلى أوربا خارج إسبانيا منذ القرن الحادي عشر الميلادي وتكون أساساً لوضع الخرائط هناك إما بطريق الاستنساخ أو التقليد أو ضم بعض الخرائط الجزئية غير المتجانسة بعضها إلى بعض.

فمن أهم الأسس للتطور الكبير الذي تحقق في وضع الخرائط في العالم الإسلامي كان الاهتمام بدرجات الأطوال والعروض وإيجاد مناهج جديدة لاستخراجها على القارات وعلى البحر.

من أكثر ما يدهشنا من مناهجهم هو قياس درجة الطول على المحيط الهندي. فمثلاً أذكر أنهم كانوا يستطيعون أن يقيسوا المسافة بين شرق إفريقيا وسومطرة بغلط بعض كيلومترات. إنني لا أستطيع أن أخوض هنا في التفاصيل وأكتفي بذكر المجلدات العاشر والحادي عشر والثاني عشر من كتابي "تاريخ التراث العربي" باللغة الألمانية وأصبح المجلدان العاشر والثاني عشر في متناول القارئ بترجمتهما الإنكليزية منذ شهرين بحمد الله تعالى. (انظر رقم ٣)

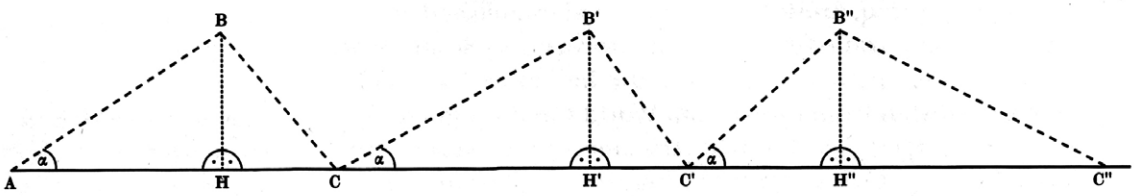


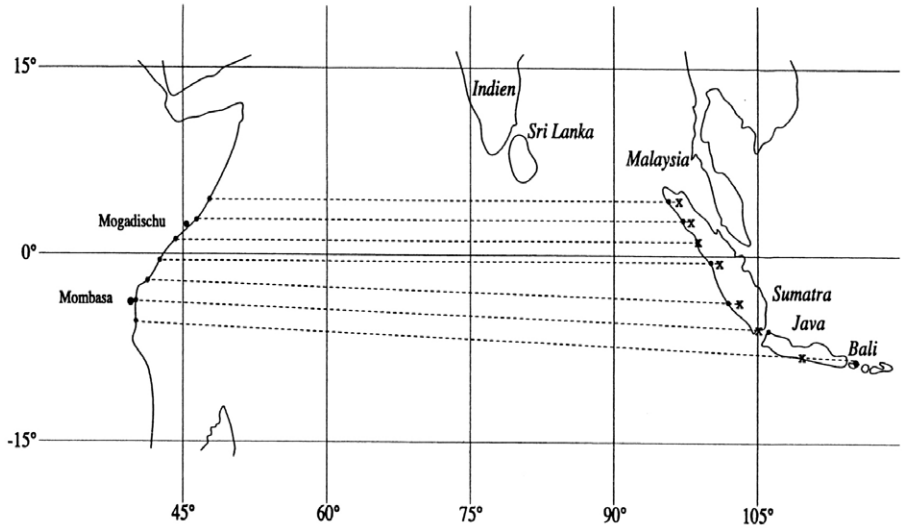


رقم ٣

بعدما أعرض عليكم بعض الخرائط أتجه إلى أساس موضوعي:

١- خريطة العالم ليطلميوس. (انظر رقم ٤)

٢- خريطة العالم لجغرافيي الخليفة المأمون (الربع الأول من القرن الثالث الهجري). (انظر رقم ٥)

٣- خريطة العالم صنعناها بناء على كتاب الإحداثيات لها. (انظر رقم ٦)

٤- خريطة الإدريسي (سنة ٥٤٩هـ). (انظر رقم ٧)

٥- أحسن وأقدم ما وصل إلينا من تقاليد أوربية لخريطة العالم للمأمون (حوالى سنة ١٢٦٥م). (انظر رقم ٨)

٦- خريطة القسم الغربي للبحر المتوسط وغرب أوربا من حوالى سنة ٧٠٠هـ. (انظر رقم ٩-١٠)

٧- خريطة آسيا الشمالية (من القرن السابع أو الثامن الهجري، ترجمت من التركية القديمة إلى الفرنسية). (انظر رقم ١١)

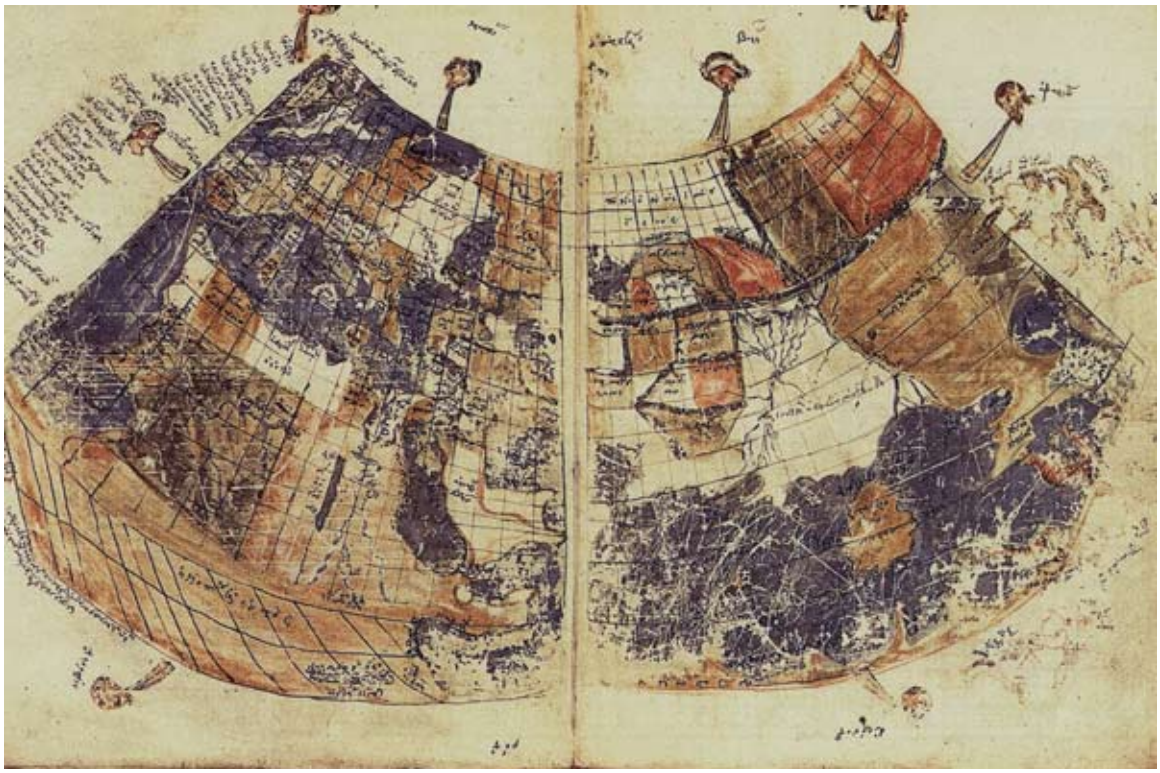

رقم ٤

رقم ٥

رقم ٦

رقم ٧

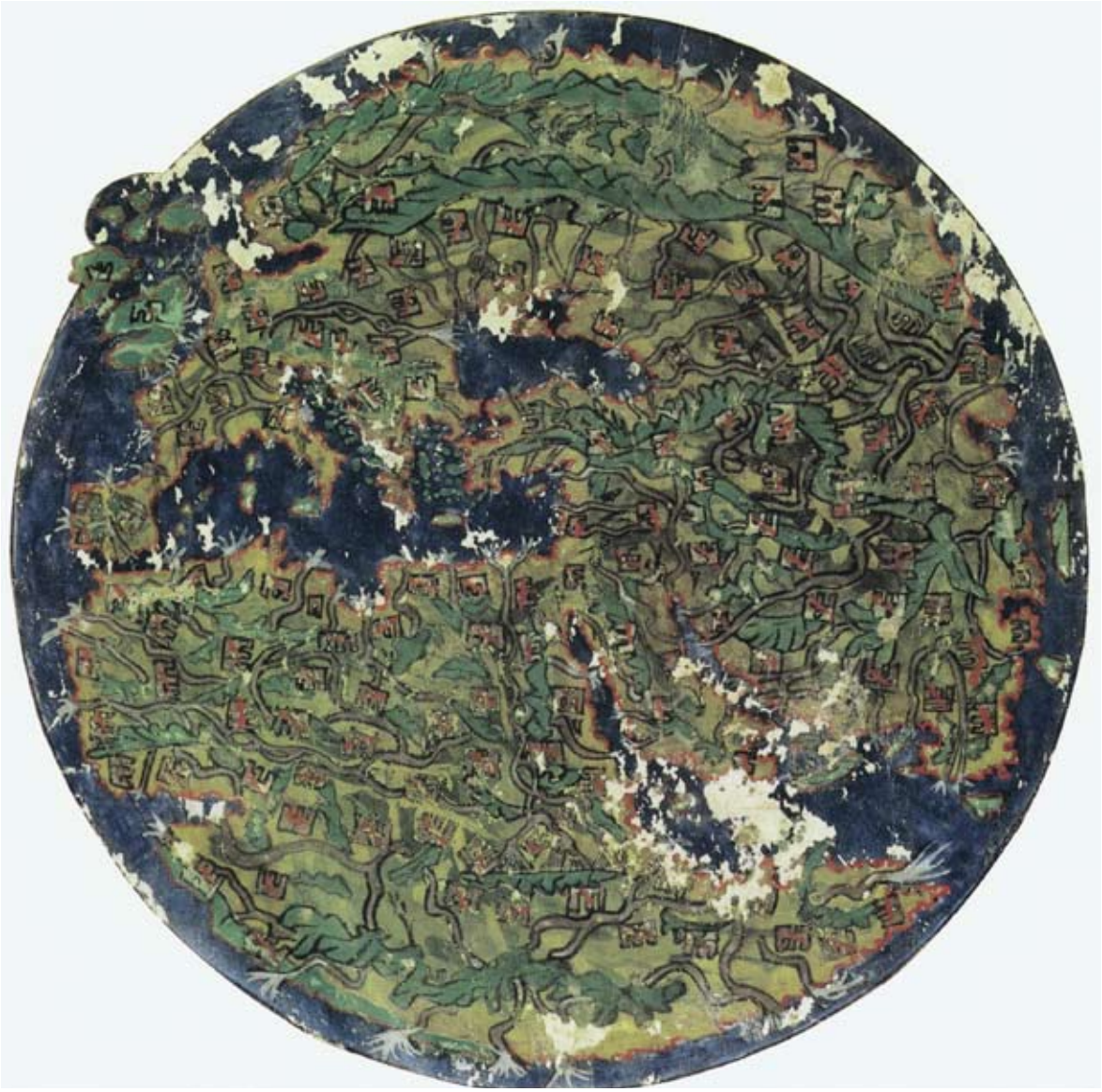

رقم ٨

رقم ٩

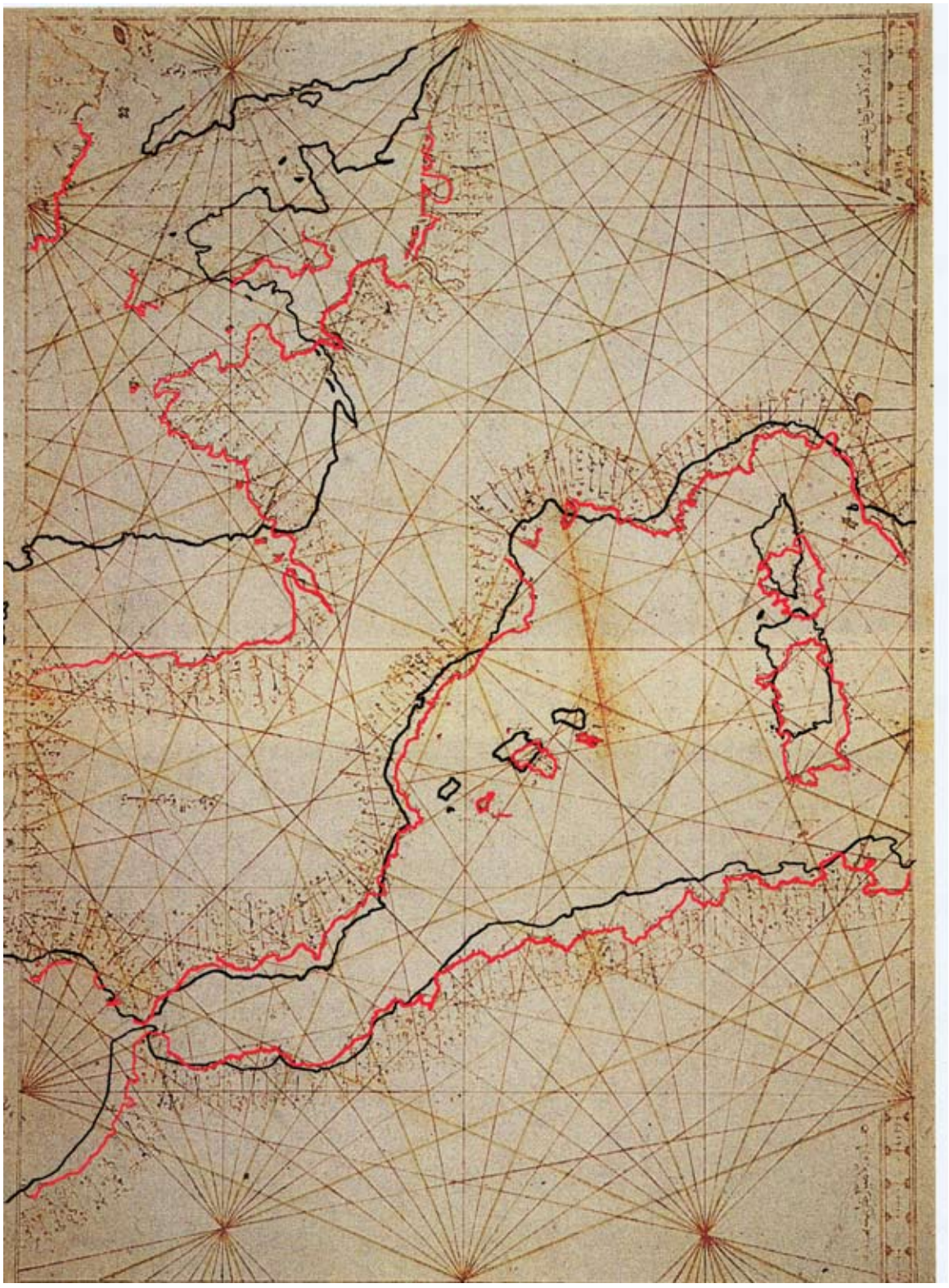

رقم ١٠

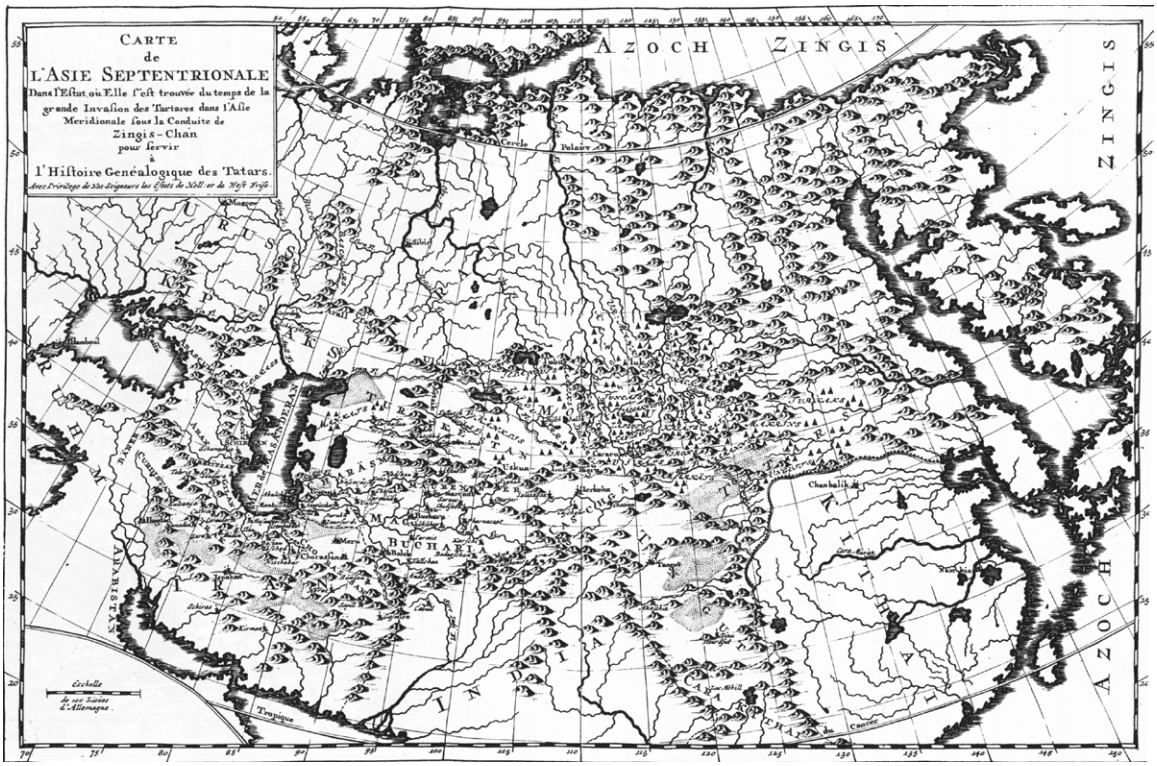


رقم ١١

أبتدئ بذكر التصوير الهام لليحر المحيط (الأقيانوس) عند أبي الريحان البيروني "أقيانس وهو قاطع بين هذه المعمورة [أي أوربا وآسيا] وبين ما يمكن أن يكون وراء هذا البحر في الجهتين من بر أو عمارة (أي عمران) في جزيرة..."

وبعد هذا أقتبس كلام المؤرخ والجغرافي المسعودي المتوفى سنة ٣٤٥هـ في كتابه مروج الذهب، يقول: "بحر أقيانس المحيط ... له أخبار عجيبة قد أتينا على ذكرها في كتابنا في أخبار الزمان وفي أخبار من غرَرَ وخاطر بنفسه ومن نجا منهم ومن تلف وما شاهدوا منه وما رأوا وإذ منهم رجل من أهل الأندلس يقال له خشخاش وكان من فتيان قرطبة وأحداثهم فجمع جماعة من أحداثها وركب بهم في مراكب استعدها في هذا البحر المحيط فغاب فيه مدة ثم انثنى بغنائم واسعة وخبره مشهور عند أهل الأندلس"

ويذكر الجغرافي الإدريسي (ألف كتابه سنة ٥٤٩هـ) محاولة من محاولات الناس الذين كانوا يُبحرون في الأقيانس "ليعرفوا ما فيه وإلى أين انتهاؤه" وأنه كان في مدينة لشبونة محل منسوب إليهم يعرف بدرب المغرورين أو (المغررين).

إن هناك محاولتان قام بهما سلطان مالي محمد بن جو ليصل من غرب إفريقيا إلى آخر البحر المحيط في حوالى سنة ٧١٢هـ كما يحكي ابن فضل الله العمري وغيره. إن هذا السلطان جهز وسير ما يقرب من مئتي سفينة فهلكت كلها في لجة البحر إلاّ واحدة منها قد رجعت. فجهز السلطان أكبر عدد من السفن ودبّر الإبحار في قيادته فلم يرجع.

قبل ما أتجه إلى مرحلة كريستوفر كولمبوس أريد أن أذكر بعض الأمثلة لحدود انتشار المسلمين في بحار العالم:

في القرن الأول من الهجرة كانت لهم محلة في مدينة كانتون في الصين، وأيضاً في القرن الأول كان قسم من جزيرة مدغشقر معتنقين للإسلام. في أواخر القرن الثالث الهجري كانت السفن التي تصنع في أبلّة بقرب البصرة على طريقة الخياطة لا بالمسامير تحمل أمتعة تجارية من مدينة ماسة في المغرب جنوب أغادير إلى الصين. (انظر رقم ١٢)

رقم ١٢

إن السفر في البحار كان يسهّل عليهم بالبوصلات التي أخذوها مبدئيا من الصين فطوروها منذ القرن الرابع الهجري تطوراً كما نعرفه اليوم. (انظر رقم ١٣)

إنهم كانوا يستعملون أثناء إبحارهم في استخراج درجات العرض بالة خاصة تسمى خشبات بدلا من الأسطرلاب الذي كان يسبب في قياس العروض على متن السفينة غلطات لحد خمس درجات. (انظر رقم ١٤)

فعلي الآن أن أتكلم عن بعض الخرائط التي تُلقي الضوء على موضوعنا الأساسي.

هناك خريطة شهيرة لراهب إيطالي يسمي فرا ماورو (أي الراهب العربي) صنع خريطة للعالم بناء على طلب ملك البرتغال سنة ١٤٥٩م. (انظر رقم ١٥)

فبصرف النظر عن أن هذه الخريطة مبنية على العناصر العربية يوجد في الخريطة بيان هام جداً يقول أنه حوالى سنة ١٤٢٠م سُيّرت سفينة هندية (مقصود بها عربية) هدفها الذهاب إلى جزيرة الرجال والنساء، مارة على رأس الذئاب (رأس الرجاء الصالح) ومارة على رأس الجزر الخضراء (في شمال غرب إفريقيا)

رقم ١٣

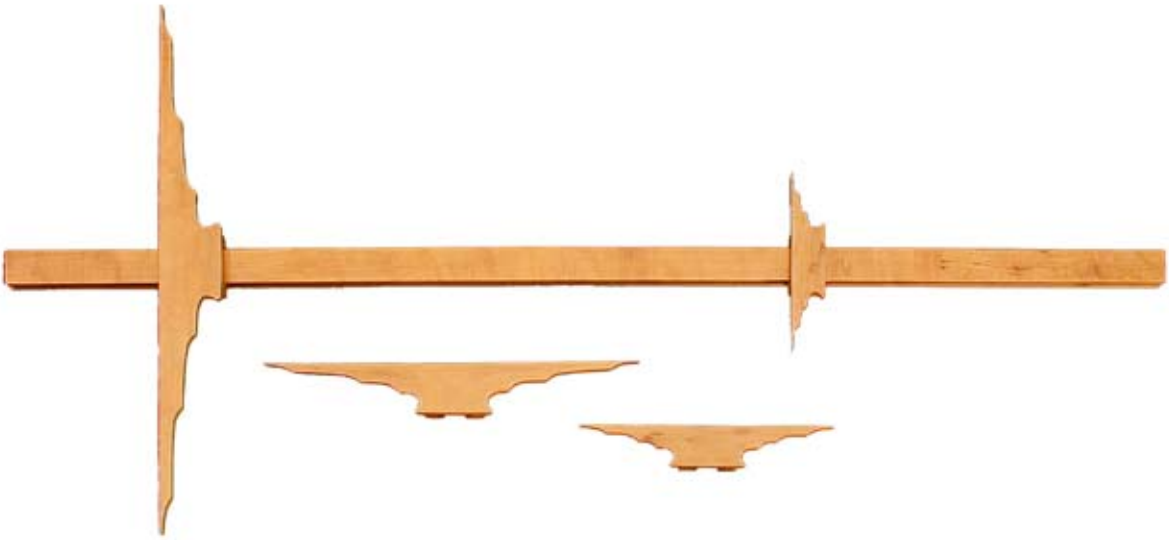

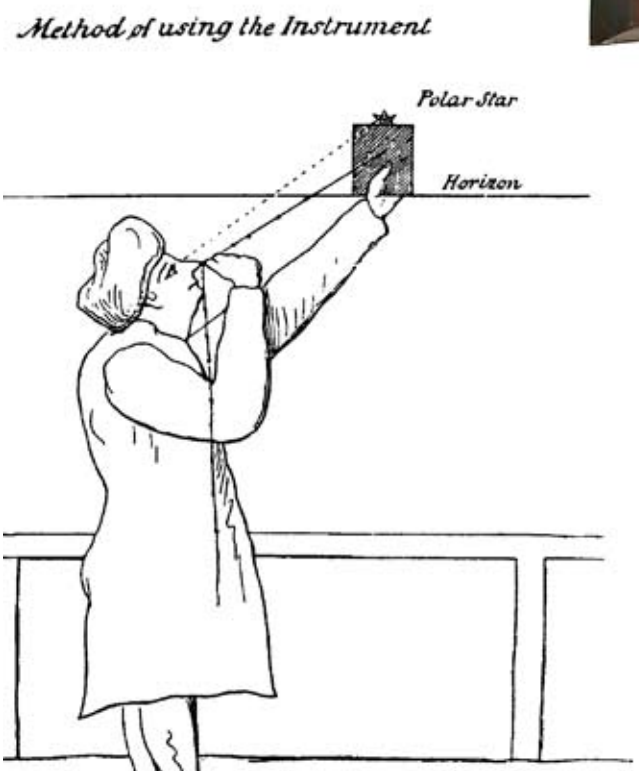


رقم ١٤

رقم ١٥

اتجهت إلى الغرب في البحر الزفطي (هذه تسمية عربية قديمة للبحر المحيط) فقطعت مسافة ٤٠ يوماً، تقريباً ألفين ميل (نحو ٤ آلاف كيلومتر) ثم وصلت في رجوعها ٧٠ يوماً إلى رأس الذئاب. إن هذا الخبر يقيم أهميته بمواجهة أخبار وخرائط مؤيدة أخرى. (انظر رقم ١٦)

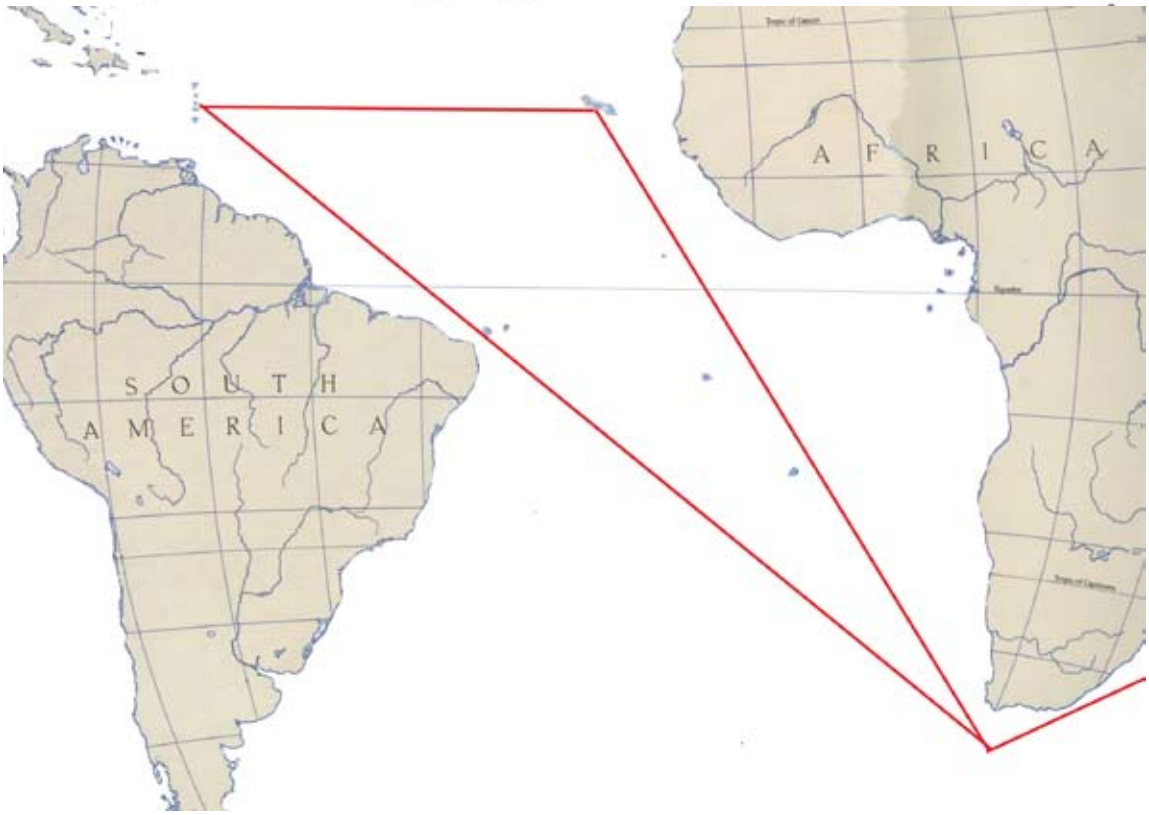


رقم ١٦

إن أهم خريطة يجري حولها النقاش في الموضوع هي خريطة البحار العثماني بيري رئيس، قد اكتشفت سنة ١٩٢٩م في مكتبة طوبقابوسراي في استانبول بافتراض أنها خريطة كولمبوس التي وصلت إلى يد العثمانيين أثناء تدميرهم الأسطول الإسباني سنة ١٥٠١م، ويعتبر أن كولمبوس صنعها سنة ١٤٩٨م. (انظر رقم ١٧)

دون الخوض في نقاش التفاصيل أشير إلى واقع أشار إليه غيري أيضاً أن تطابق درجات الأطوال والعروض لهذه الخريطة مع الحقيقة إن قارنّاها بالخريطة الحديثة بواسطة الحاسوب يدهش ويحيّر في شرحه، حيث إنه من المعروف أن حدود الأغلاط في بيانات كولمبوس التي وصلت إلينا في سجلات أسفاره حول درجات الأطوال والعروض تصل ٢٠ و ٣٥ درجة. فبصرف النظر أنه لم يعرف جنوب أمريكا إلاّ شيئاً بسيطاً في شمالها ولا يمكن أن يكون هو أو أحد أصحابه صانع هذه الخريطة. (انظر رقم ١٨)

إن الحقيقة أن قياس درجات الأطوال خاصة كان غير ممكن في بيئة غير البيئة العربية-الإسلامية تؤدي إلى الافتراض أن كولمبوس بادر برحلته ويبده خريطة يرجع أصلها إلى أصل عربي. فمن المهم في هذه الناحية أن معاصر كولمبوس ومؤرخه لاس كاساس يقول إن كولومبوس كان يملك خريطة من بادئ الأمر وكل الجزر والقارة الكبيرة ظاهرة عليها. ويقول إن تلك الخريطة لا تزال في ملكه. إن هذا الكتاب يذكر في أمكنة كثيرة وجود

رقم ١٧

الخريطة القديمة لتلك المناطق بيد كولمبوس. ويأتي ذكر الخريطة في سجلات أسفار كولمبوس. من أهم ما وصل إلينا من ذكره أن كولمبوس أرسل قائد السفينة الثانية مارتّين ألونّزو بينّزون إلى بعض الجزر القريبة مع الخريطة، فطلب منه أن يرجعها حتى استطاع أن يناقش ويتبين مع أصحابه أين كان موضعهم من الخريطة.
ويُذكر في سجلات رحلات كولمبوس أن سكان جزيرة وصلوا إليها كانوا يحكون عن وصول سفينة فيما قبل.
ويُذكر في نفس السجلات أيضاً أن سكان جزيرة أخرى حكوا له أن الجزيرة الكبيرة التي كان يقصد إليها

رقم ١٨

كولمبوس في رحلته الأولى توجد فيها هناك سفن كبيرة وبحّارة ماهرون. أضيف إلى هذا أن البحار العثماني بيري رئيس يذكر في خريطته أن كولومبوس توصل إلى التفكير في رحلته بعدما وصل إليه كتاب كانت السواحل الغربية (الأطلنطية) والجزر والمعادن ...إلخ كلها مسجلة فيه. إنه يُستنتج من تلك الأخبار وغيرها أن الواقع كان في عهد كولمبوس شيئاً معروفاً أنه استهدف أن يصل إلى منطقة معروفة قبله.

في سنة ١٩٣٣م حينما كان لا يُعرَف عن مكانة العرب والمسلمين في تاريخ علم الخرائط قام المستشرق باول كاله ببحث واسع لعمل بيري رئيس على خريطة كولمبوس فوصل إلى اليقين بأن كولمبوس توصل إلى التفكير بأن يقوم بالإبحار في البحر المحيط الأطلسي بواسطة خريطة قديمة وصلت إليه، مستهدفاً الوصول إلى بعض جزر معينة مرسومة على الخريطة. أهم هذه الجزر كانت كوبا، وأنتيلا، وهاييتي، وبورتوريكو، وجزر النسا ء.

كان كاهله متيقناً بأن الخريطة السابقة، بتعبيره الخاص "الخريطة الأصلية" كانت خريطة بحرية مرسومة بشبكة درجات الأطوال والعروض. وهذه الخريطة هي التي كان كولمبوس يضيف عليها ما كان يصادفه أثناء رحلاته الثلاث الأولى. وكان كاهله لا يشك بأن تلك الخريطة الأصلية هي التي يأتي ذكرها مراراً في تاريخ رحلاته وسجل السفن، ويذكر فيها مرة أن الخريطة الأصلية أرسلها إلى كولمبوس عالم إيطالي كان اسمه باول توسكانلي. ولكن المستشرق الألماني كاله الذي قبل وجود تلك الخريطة الأصلية لم يستطرد إلى السؤال كيف وأين نشأت الخريطة الأصلية التي لا يترك مجالاً للشك أنها تقتضي حصول الرحلات إلى نفس المناطق ومعرفتها قبل كولمبوس.

أرى من الواجب علي أن أذكر أن كاله يرى أن النصف الشمالي للخريطة في الترجمة العثمانية ترجع إلى كولمبوس وأما النصف الجنوبي فيرى أنه صنعه البحار العثماني بناء على اكتشافات البرتغاليين. إنني لا أستطيع أن أخوض هنا في نقاش رأي كاله، وأكتفي بسرد بعض المواد التي تدل على أن جنوب أمريكا ومعظم الجزر على الأقل في وسط أمريكا كان معروفاً قبل كولمبوس ورحلات البحارة البرتغاليين.

أولاً: إن المؤرخ البرتغالي جَالْواتو (المتوفى سنة ١٥٥٥م) يذكر في تاريخ الاكتشافات أن الأمير دومْ بيدرو أكبر أبناء ملك البرتغال رجع من رحلته الطويلة إلى أوربا والقدس سنة ١٤٢٨م ،ومعه خريطة للعالم كان مرسوماً عليها رأس الرجاء الصالح والممر في آخر جنوب أمريكا الذي يسمى عندهم فيما بعد ممر ماجلان.

الخبر الثاني: أن مؤرخ أنطونيو بيجافيتا الذي رافق ماجلان في رحلته وكتب سجل الرحلة وصنع خرائطها يقول إن ماجلان كان يستند إلى خريطة قد استنسخت قبل سنة ١٥٠٧م وأن الممر الجنوبي (أي ممر ماجلان) كان مرسوماً عليها. (انظر رقم ١٩)

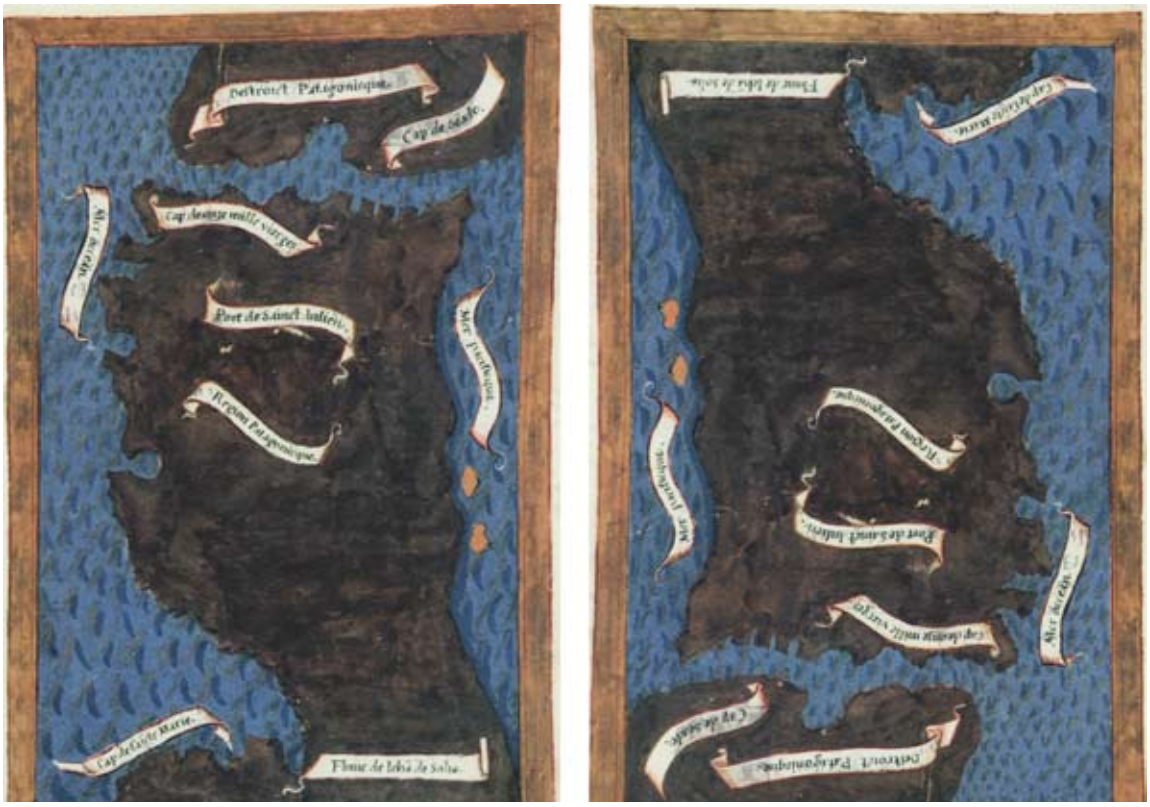

رقم ١٩

قسما له أهمية كبيرة أنه وصلت إلينا خريطتهما للمنطقة، أي للطرف الجنوبي من جنوب أمريكا. فيتبين أن جهة الجنوب في الخريطة هي الجهة الأعلى كما كان مألوفاً في خرائط المسليمن. فلا نستطيع أن نحكم إلى أي حد استندا إلى الأصل المعروف عندهما. ولكنه لا يخفى أن الخريطة غير دقيقة مثل خرائطهما الأخرى كلها، إذ أنها كانت تصنع لأول مرة، فلا بد أن تكون بدائية في المرحلة الأولى، وكان الخرائطيون الإسبان والبرتغاليين والإيطاليين تنقص عندهم المقدرة على قياس درجات الأطوال.

أعرض عليكم الآن بعض الخرائط:

١- الخريطة الجاوانية: هذه الخريطة قسم من أطلس جاواتي وصل إلى يد البرتغاليين سنة ١٥١١م حينما استولوا على مالقة (في ماليزيا). ترجموا ٢٦ قسما بقي من الأطلس وأرسلوها إلى البرتغال مع التعبير عن دهشتهم أمام جمال وأهمية الخرائط. إن دراسة هذا الأطلس تثير حيرة الإنسان أمام هذا المستوى الذي وصلت إليه خرائط المحيط الهندي عند المسلمين. فهذا الأطلس يحتوي خريطة جزئية للبرازيل، وينطبق مع الواقع إلى حد لا بأس به. (انظر رقم ٢٠-٢١)

رقم ٢٠

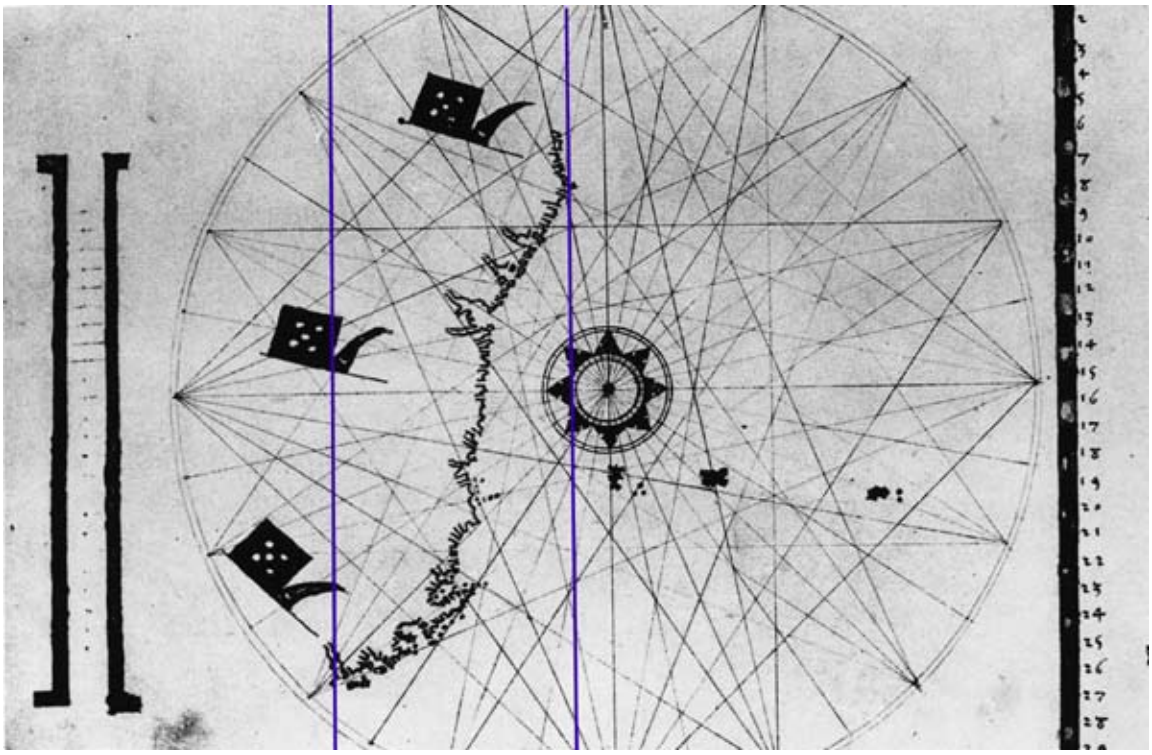

رقم ٢١

٢- خريطة خوان دو لا كوسا التي صنعت حوالى ١٥٠٠م. صاحب هذه الخريطة كان من البحارين الذين رافقوا كولمبوس قائدين للسفن. يرى على خريطته صورة البرازيل تشبه ما على خريطة بيري رئيس، والمهم هنا أن تصوير البرازيل وممر ماجلان يظهران في هذه الخريطة قبل وصول البرتغاليين إليه. ومهم أيضاً من جهة أن درجات الأطوال والعروض تقترب من الواقع إلى حد بعيد، ومن جهة أخرى أن مثل هذه الخريطة التي يحتاج صنعها إلى وقت طويل ومعرفة استخراج درجات الطول الدقيقة تحمل كصانعها اسم بحار لم يزر جنوب أمريكا. (انظر رقم ٢٢-٢٣-٢٤)

٣- الخريطة الأخيرة التي استشهد بها هي لألبيرتو كانتينو الإيطالي من سنة ١٥٠٢م، والتي نشأت فوراً بعد رجوع فاسكو دا جاما. فعليها صورة إفريقيا في منتهى الدقة، وسواحل جنوب أمريكا، إن قارنّاها بالخريطة الحديثة بواسطة الحاسوب تتوافق مع الواقع إلى حد بعيد بدرجات العرض والطول. فهذا قبل أن وصلت نتائج زيارة البرتغاليين للمنطقة إلى الخرائطيين. إنني لا أشك أن ظهور هذه الخريطة يرجع إلى أصل نشأ في العالم الإسلامي. (انظر رقم ٢٥-٢٦)

أما خريطة بيري رئيس البحار العثماني (انظر رقم ١٧) التي ذكرتها آنفا فأظن أنها ترجع إلى القرن الخامس عشر الميلادي، وكانت أيضاً في يد كولمبوس قبل رحلته. فإلى أي حد تنطبق هي مع الأصل في الفروع فذلكم ما لا نستطيع أن نحكم فيه. وما نستطيع قوله بما يقرب من درجة اليقين أن أمكنة الخريطة التي تتوافق درجات الأطوال والعروض مع الواقع إن قارنّاها بالخريطة الحديثة بواسطة الحاسوب لا بدّ من أن ترجع إلى الأصل العربي حيث إن العرب والمسلمين كانوا وحدهم في ذلك الوقت قادرين على استخراج

رقم ٢٢

رقم ٢٣

رقم ٢٤

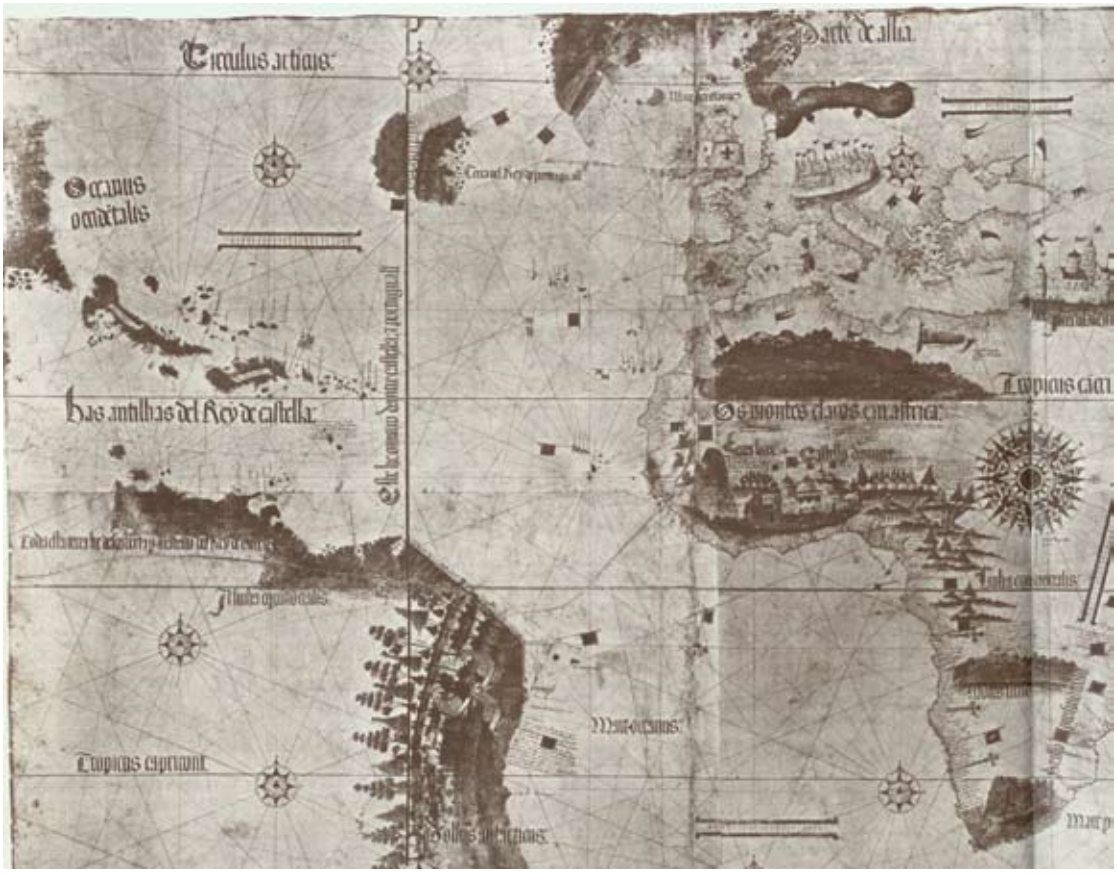
Circulus arcticus
Occanus occidentalis
Has antillas del Rey de castella
Os montes claros em africa
Tupinas canibales
Tupinas espriuant
Mare occanum

رقم ٢٥

Circulus arcticus
Occanus occidentalis
Has antillas del Rey de castella
Os montes claros em africa
Mare occanum

رقم ٢٦

درجات الأطوال بهذه الصحة في العالم. من غرائب هذه الخريطة أنه يظهر في جنوبها كتلة قارة كبيرة توحي بالانطباع بأن منطقة القطب الجنوبي مقصودة بها. في وضع معرفتنا الضعيف اليوم لا نسمح لأنفسنا إلاّ برأي يبقى في حيز الاحتمال فنقول إنه ليس من المستبعد أن البحارين العرب والمسلمين الذين كانوا يقطعون عرض الأقيانوس الهندي بكل سهولة ربما كانوا لا يستطيعون التحكم بحيّهم للاستطلاع فيبحرون إلى الجنوب ليروا إلى أين يصلوا، كما عملوا بمحاولاتهم العديدة في طريق الوصول إلى آخر الأقيانوس.

إنني سأكتفي بخبرين معروفين عندي. أولا: إن الراهب والمبشر الدومينكاني جيوم آدم الذي عاش في العالم الإسلامي في أوائل القرن الثامن الهجري مدة طويلة، وقضى ٢٠ شهراً في غرب المحيط الهندي يخبرنا من مكان إقامته على سواحل شرق إفريقيا في ٢٤ درجة جنوب خط الاستوا ء أن البحارين كانوا يصلون إلى ٥٤ درجة في الجنوب.

ثانياً: يكتب الجغرافي الإيطالي ليفيو سانوتو في كتابه حول جغرافيا إفريقيا سنة ١٥٨٨م أن العرب كانوا يبحرون من زنجبار إلى القارة الجنوبية.

أما الخريطة التي صنعها كولمبوس مع أخيه بناء على طلب ملك الإسبان سنة ١٥٠٣م فكان شكلها كما يلي: (انظر رقم ٢٧)

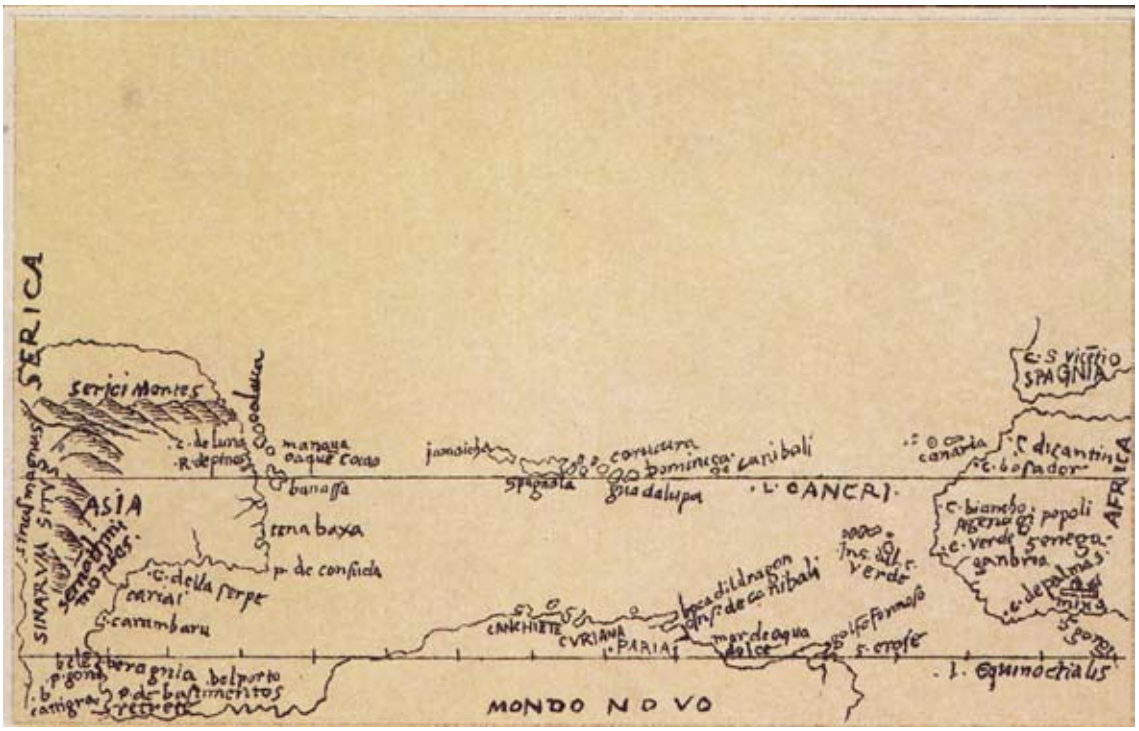


رقم ٢٧

إننا مدينون للإسبان والبرتغاليين بأنهم اهتموا بالأمر وتجاوب حكامهم مع رغبات البحارين الماهرين ودعموهم في تحقيق وصولهم إلى القارات والبحار التي كانت معروفة عندهم بواسطة الخرائط والأخبار التي وصلت إليهم من العالم الإسلامي ولولا هذا الدعم المتواصل لربما تأخرت المعرفة الواضحة عن القارات الكبيرة التي سميت فيما بعد أمريكا. فبهذا المعنى يكون الإسبان والبرتغاليون والإيطاليون مكتشفي أمريكا. أما العمل السابق الممهد المرشد الذي تحقق في العالم الإسلامي لا في هذا الصدد فحسب، فيبقى التعريف به وتقديره واجباً على تاريخ الجغرافيا والكرتوغرافيا.